

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} [(17) سورة الذاريات]

الشيخ العلامة/ عبد الكريم الخضير

صلاة الليل من أفضل الأعمال، وهي دأب الصالحين، يقول الله -جل وعلا-: **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}** [(79) سورة الإسراء] ويقول الله -جل وعلا-: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}** [(16) سورة السجدة]، ويقول الله -جل وعلا-: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [(9) سورة الزمر] المقابلة تقتضي أن يكون أهل القيام هم الذين يعلمون، وأهل الغفلة والنوم هم الذين لا يعلمون، فدلَّ على أن العلم هذا الوصف الشَّرِيفُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ، وَالَّذِي لَا يَعْمَلُ بِهِ يَسْتَحِقُّ ضِدَّهُ وهو عدم العلم، **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ}** هذا النباغث للمسلم على قيام الليل ثُمَّ ذَلَّلَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ}** [(9) سورة الزمر] وهم أهل القيام والعمل، **{وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** وهم أهل الغفلة والنوم، وَإِنْ حَصَلُوا مَا حَصَلُوا مِنَ الْعُلُومِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ مَا نَفَع، أَمَا الْعِلْمُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ لَيْسَ بِعِلْمٍ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ حَصَلَ مِنْهُ صَاحِبُهُ مَا حَصَلَ، وَإِنْ أَدْرَكَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا أَدْرَكَ **{(يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولَهُ)}**.

فَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ وَيَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْوَصْفَ الشَّرِيفَ هُمُ الْعُدُولُ، هُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالْعِلْمِ، أَمَا الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، مَا الْفَائِدَةُ مِنْ عِلْمِهِ؟ لَا فَائِدَةٌ فِيهِ، وَجُودِهِ مِثْلَ عَدَمِهِ؛ بَلْ هُوَ وَبِالْ عَلَى صَاحِبِهِ، قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ هَذِهِ نَافِلَةٌ، فَكَيْفَ يُسَلِّبُ الْوَصْفَ مِنْ تَرْكِ النَّافِلَةِ؟ **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** هذه نافلة كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- عن عبد الله بن عمر: **{(نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل)}** فالمدح إِنَّمَا عُقِّقَ عَلَى الْقِيَامِ، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، فَهَذَا وَصْفُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهَذَا شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ، شَأْنُهُمُ الْعَمَلُ بِمَا عُلِّمُوا وَمَا تَعَلَّمُوا، أَمَا الَّذِي لَا يَعْمَلُ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} و(ما) هذه وش تصير؟ الهجوع وش هو؟ الهجوع النوم **{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}** هل المراد أنهم كانوا يقومون قليلاً؟ لا ينامون قليلاً؟ أو أن هجوعهم قليل؟ قليل من الليل الذي يهجعونه؟ **{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}** أي الذي يهجعونه؟ يعني الذي ينامونه؟ احتمال، الامتثال من قبل عبد الله بن عمر الصحابي المؤتسي ممثلاً **{(نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل)}** فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً، قد عُرف بهذا بسرعة الامتثال، **{(يا عبد الله كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)}** ماذا قال عبد الله؟ فكان عبد الله يقول: "إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ".